مقرر مقرر ديانة مصرية قديمة(٤)

الفرقة الرابعة قسم الآثار المصرية

د/ حمادة جلال

فى المحاضرات السابقة نُوقِشَت النِقاط التالية:

مقدمة عن أُسُس التأليه فى مصر القديمة:

فيما يخُصُ المواجهةَ بينَ المفهومَينِ المُتعارضينِ فى الفِكْرِ المصرى القديمِ وهُما الوحدانية والتعدُد ، فإنهُ يتعينُ علينا أن نبدأَ ببعضِ الأساليب الذهنيةِ الخاصةِ بالاعتقادِ فى مصر القديمة ، فالمصريينَ القُدماء – وفى فلسفةِ العقيدةِ عندهُم – لم يُوَظِفوا التجريد بل استخدموا مُفرداتٍ راسخةٍ ومُحَدَدَةٍ ، استَوحَوها من المَبدأ الثابت الذى لا يتزَعزَع ، والمُتعلِق بالمعبود فى هذا الموطن ، وهو التكاملية من خلال الصور (الأشكال) التى تُنَقِحُ كُلٍ منها الأُخرى وتُدَعِمَها ، فيما يُشبِهُ السِلسِلَةَ المُترابِطَةَ ، وذلك الأُسلوب فى التفكير والاعتقاد يُعَدُ غريباً أو مُغَايراً لِمبدأ التناقُض والمُسَلَمات الخاص بالهُوِيات المُتطابقة (المُتماثلة) . ففى مصر القديمة كان لِمبدأ وِحدةِ الهُوية وضعيةً أشملُ وأوسعُ مما عليهِ الحالُ فى

ثقافَتِنا المُعاصرة ، والتى يقُولُ بعضُ فلاسفتِها " تَعَدُدِيةِ الإقتراب " ، فى إشارةٍ إلى الحقائق التى وإن تناقضت وتباينت فيما بينها فإنها لا تستبعدُ إحداها الأُخرى ، بل تُكَمِلُ بعضُها بعضاً ، مُشَكِلةً العدالة للأوجُه المُختَلِفَةِ للواقعِ أو الحقيقةِ .

الرمز إلى التصورات العقائدية عند المصرى القديم بأشياء مادية محسوسة:

خلال الألفية الثانية قبل الميلاد وما تلاها ، وإلى جانب الإلحاد البراجماتى (الواقعى) كان للنُخبةِ أو الصفوةِ من كِبار الكهنة سعيٌ حثيثٌ جاهدٌ نحو تحديدِ أو إبرازِ المعبودِ الرئيسى ، من ذلك "المعبود آمون" والذى كان بالإمكانِ وصفه من حيثُ الجوهرِ على أنه إستثنائى أو مُعجزة، وفى سُمُوِهِ ورِفعته كالواحدِ العظيمِ ، غيرِ المعلومِ ، والبعيد الذى يَصعُبُ الاقترابُ أو الدُنُو منه ، فآمون : "هو غيرِ المُدرَك ، المُستَتِر عن المعبودات، وظهورِهِ أو تجليه لا يُمكنُ إدراكُه ، وهو أبعدُ من السماواتِ العُلا " .

وهذا النوع من تجميعِ الكياناتِ فى وحدةٍ واحدةٍ، أو كيانٍ واحدٍ ، يُصبِحُ بمقدوره أن يتحولَ إلى عدةِ هيئاتٍ، وعليهِ يُصبحُ من المُمكنِ لمعبودٍ أن يحصُلَ على التحولاتِ والهيئاتِ الخاصةِ بمعبودٍ آخر ، ولا يُمكنُ كذلك وفى كل المراحل أن نَغفَلَ أهميةِ الفِكر والكلمةِ ، كما أن

المفهومَ الذهنى تُجاه كلِ ما هُو معنويٍ وغير ملموس ، لا يكتمل إلا بالطاقةِ الفاعلةِ للشكلِ أو الصورة، فمن ناحيةٍ هُناك العديدُ من المعانى الكامنةِ فى الشكلِ أو الصورةِ وكذلك المشيئة ، ومن ناحيةٍ أُخرى ثمةَ العديدُ من الرموزِ الخاصةِ بالكلمةِ والشكل .

أُلوهية الملك فى الفكر المصرى القديم:

أما الوهية الملك فأمرٌ ثابتٌ بمختلفِ الاعتبارات، بجانبِ تصويرِهِ منذ القِدَم كربٍ للسماءِ على عرشِ رع ، ويُمثلُ حورس هيئته الأرضية ، وكان " جد إف رع " من عصرِ الدولةِ القديمةِ – الأُسرة الرابعة – هو أقدَمُهُم حسبَ المصادِر ، وحصُلَ على لقبِ " ابنُ رع " " *s3 Ro* ". كما أنه فى الإرثِ المصرى القديم الخاص بالألوهية ، كان الملوكُ الراحلون يُعتَبَرون أبناءً للربةِ نوت ربةُ السماء . وما بين المعبودات آتوم ورع وأوزير وحورس وبعضُ المعبوداتِ الأُخرى – من أمثالِ جب وشُو ونُوت ونِخبت والربةِ إيزيس وحتحور– كان التصريحُ الواضحُ الثابتُ ، وكذلك الإقرارُ بطبيعةِ الملكِ المقدسة.

ومن أشهرِ أبناءِ المعبودات هؤلاء من المَجمعِ المُقدَس ، وأكثرُهُم وأوثقُهم صلةً بأبناء المعبودات من الملوك المعبود أوزير وكذلك ابنُهُ المعبودُ الابنُ حورس ، وبالمثلِ المعبود جب، وكذلك ربُ الشمسِ رع. أما أوزير فيظهرُ فى تلكَ النصوص كشخصيةٍ محوريةٍ فى داخلِ طقوسٍ

جنائزيةٍ مُرَكَبَةٍ ، صُمِمَت لحماية الموتى من الرَمَم، وإعادة إقامتهم للحياةِ مرةً أُخرى . وذلك الخلاص يتحققُ من خلالِ توحُد الملك المتوفى بالمعبودِ أوزير ، ويتوحدُ بذلك معهُ فى المصيرِ ، من حيثُ الموتِ ثم القيام وِفقاً لأسطورة موت أوزير وقيامته، والتى ليس لها تاريخٌ مُحَدَد ، ولكن لاريب أنها سبقت عصرَ نصوصِ الأهراماتِ بزمنٍ بعيد.

لكن من ناحيةٍ أُخرى إذا تَدَبَرنا هذا الأمر وما فيه من إيجابياتٍ نَجِدُ أن أوزير هذا، والذى هو بالأساسِ ابنُ معبود (آتوم)، لم يبذُل هو الدور الرئيسى فى بعثِ الملكِ الراحلِ بعد موته، من خلالِ التوسُلِ والتضرُع ، وبالمِثل لم يقُم هوَ أو حتى يُشارك فى مواجهةِ البلاءِ الذى يُصيبُ الجسدَ فسيولوجياً بطريقةٍ عمليةٍ ، إلا أنه كان الإذنُ المبدئى، ونواةُ الطقوسِ السحريةِ المُبَشِرَةِ لقيام الملكُ الراحلُ بعد الموتِ ، بل إن الخَلَاصَ من الناحيةِ الواقعيةِ يتحققُ بعونِ أو مُساعدةِ العديدِ من المعبوداتِ الأُخرى ، والذين يتوسلون ويُشارِكون من الناحيةِ العمليةِ فى حِفظِ الملكِ الراحلِ من تحلُلِ الجسد، وهو الأمر الذى فعلوه من قبلُ بأوزير نفسه، وفى مقدمتهم آتوم وإيزيس ونفتيس بل وحتى حورس.

وكان جوهرُ تلكِ الطقوسِ هو أسطورة أوزير من حيثُ عودتهِ للحياةِ مرةً أُخرى ، إستناداً إلى المُمَارسةِ والإيمان بالقوةِ السحريةِ الخاصةِ بالطقوس ، ومن ذلك ما أوردته نصوصُ الأهرامات من نُسخةِ هرم الملكِ أوناس ، وفيها ترنوا التعاويذُ الطقسيةُ إلى التَوَحُدِ بين الملك

الراحل والمعبودِ أوزير ، وهى الطقسةُ الجوهريةُ فى جميعِ التعاويذِ من هذا النمط ، وفى هذه التعويذة تُوَجهُ الصلوات والدعوات للربِ آتوم ، معبود هليوبوليس ، والذى توَحَدَ هو الآخر بالمعبودِ رع ربُ الشمس.

تُشير نصوص عصر الدولة القديمة ، ولاسيما النصوص الخاصة بمقابرِ النبلاءِ آنذاك ، أنهم آمنوا بوجودِ نوعٍ من المُحاكمةِ المقدسة يُحاسب فيها الشخصُ على أعمالهِ خلالَ حياتِه الدُنيا ربما كانت برآسة المعبود رع ، ربُ الشمسِ، دونما أية إشارة لأوزير كحاكمٍ للموتى . غيرَ أنهُ لاريبَ فى أن أوزير كان له دورٌ ايجابيٌ فيها باعتباره النموذج الأَوَلىٌ للمُبرئين ، وكذلك النموذج الأول للقِيامِ بعدَ الموتِ.

المحاضرة الرابعة

الآخِرة والحساب فى الفكر المصرى القديم

مقدمة :

إذا نظرنا إلى أيَةِ ديانةٍ من خلالِ جانِبِها العاطفىَ أو الروحىَ ، وليس من خلال الجانب الفكرىَ ، أى ننظُرُ إليها على أنها آمالُ ومخاوفُ الإنسانُ على نفسهِ من المجهول ، وليس كنظريةٍ خاصةٍ بآداء طقوسٍ جامدةٍ ، فإن أهم اعتبارٍ هنا بدونِ شكٍ هو العلاقةُ الشخصيةُ التى يشعرُ بها المُلتَزمون بهذه العقيدة ، ويحاولون تحقيقها بينهم وبينَ معبوداتِهِم.

يُعدُ الإيمانُ بالبعثِ والخلودِ وحياةِ ما بعدَ الموتِ من أهم الركائزِ الأساسيةِ التى قامت عليها الحضارةُ المصريةُ القديمةُ بصفةٍ عامةٍ ، والديانةِ المصرية القديمة بصفةٍ خاصةٍ . فأمر الحِسابُ من أهمِ القضايا التى تشغلُ بالَ البشريةِ جمعاء ، وليس فقط المصريينَ القُدماءِ دونَ غيرِهِم ، ذلك نظراً لارتباطها بالمصيرِ السرمدىِ ، والذى هو بالضرورةِ

يتوقفُ على مَسلَكِ المرءُ فى حياتِه الدُنيا خيراً كان أم غيرَ ذلك . فالبعثُ هو أساسُ الفكر المصريِ القديم بأكملهِ فيما يخُصُ الألوهية، فالحياةُ تؤدى إلى الموتِ ، والموتُ يؤدى إلى الحياةِ الأُخرى . فلقد قامت الحضارةُ المصريةُ القديمةُ على معتقداتٍ دينيةٍ وعقائدٍ فى البعثِ والخلودِ ، استوحاها الإنسانُ المصرىِ القديمِ من بيئتهِ ، مما أسبغ حياتَهُ بطابعِ الطُمأنينةِ .

مظاهر العناية بالبعث والخلود:

التحنيط:

التصوير والنحت:

المقابر (عمارتها وأثاثاتها ومُؤَن الخلود) :

الرُقَى والتراتيل: مصادرها:

نصوص الأهرامات:

فى هذا الصدد سوف يوجه الباحث اهتمامه نحو التعاويذ أو الرقى الخاصة بتجنب عقبات العالم الآخر ومخاطره . حيث حوت نصوص الأهرام – وكغيرها من نصوص الأدب الجنزى فى مصر القديمة – العديد من المصادر المختلفة للتعاويذ والرقى التى يتعذر علينا معرفة مصدرها الأول، غير أنها فى مجملها قد انصبت على مقاومة الكائنات المعادية للملك المتوفى فى العالم الآخر.

اختصت بعض تلك النصوص بالتأكيد على حماية ووقاية الجسد من القوى الشريرة كالثعابين والعقارب ، بيد أن معظم النصوص والرقى ركزت على صعود الملك إلى السماء كى يتحد مع الشمس أو النجوم ومن ثم يتحقق له الخلود كواحدٍ من النجوم الخالدة.

ولعلنا هنا لسنا بصدد الحديث عن ماهية تلك النصوص بالمعنى المتكامل ، بيد أنه لما كانت نصوص الأهرام تعد أقدم تجسيد للأدب الجنزى فى مصر القديمة ، كان لابد ألا نغفلها أو نتجاوزها لما دونها دون أن نعرض لبعض ما ورد فيها من رقى وتعاويذ تعبر عن قلق المصرى القديم من الرحلة إلى الغرب وعقباتها، كبداية أو مدخل لما سوف يتبلور لدى المصرى القديم من مفاهيم ثابتة ومتكاملة عن هذا العالم _ الذى لم يَعُد منه أحد_ فى إنتاجه من الأدب الجنزى فى العصور اللاحقة لعصر الدولة القديمة، وفى مقدمتها عصر الدولتين الوسطى والحديثة .

ففى تلك النصوص تتبدى الرغبة الشديدة فى مجابهة مصيبة الموت ، إلى الحد الذى يشير إلى أنهم آنذاك كانوا يعتبرون الموت نفسه – بغض النظر عن قَدَر أو مصير المتوفى – يُعد لوناً من ألوان الحرمان والعذاب بمختلف صوره ، من آلام وأحزان وترك لعالم الأحياء والرحيل إلى عالم الموتى ، حيث حياة البرزخ وانقطاع العلاقة مع الأحياء .

فضلاً عما يُصيب الجسد من تغيرات فسيولوجية كانت تمثل خطراً داهماً، بالرغم من كل المحاولات التى قاموا بها لتجنب هذا الأمر أو محاولة التغلب عليه . فلقد كان المصرى القديم يَعد الموت أو فقدان الحياة أمراً يخشاه ويفكر فيما حوله من غموض، وذلك فى حد ذاته عذاب ومذلة ومهانة. فالمصرى القديم كان يرى فى الموت عملية اختطاف للمرء من الحياة الدنيا رغماً عن رغبته فى البقاء .

كما كان الموت مرة أخرى فى العالم الآخر هو النهاية. كذلك تدمير المقبرة يعنى الهلاك المحقق والضياع، لذلك حرص المصرى القديم فى العديد من التعاويذ على التأكيد على ضمان بقاء المقبرة (الهرم)، بالإضافةِ إلى الحماية من الجوع والعطش وأكل القاذورات.

الظلام هو الآخر كما كان من أشد مخاطر العالم الآخر، وبالمثل الأفاعى والعقارب كأحد مخاطر وعقبات الآخرة فى ذلك الوقت، ومن ثم نجدها قد وردت بكثرة فى تعاويذ نصوص الأهرامات، أملاً فى أن ينجو الملك المتوفى من لدغاتها وأذاها فى العالمِ الآخر. وهناك كذلك مخاطر

عدة كالشياطين والعفاريت وغيرها من الهوام التى تُهدد سلامة المتوفى هناك، والتى خُصِصَت لكف أذاها بعض التعاويذ.

فى المحاضرة القادمة:

نصوص التوابيت ومناظر ونصوص كتاب الموتى ومساهمتها فى عونِ من رحلوا إلى عالم الموتى حيثما تخيله الفكر العقائدى المصرى القديم.